سلسلة

فوائد من تفسير القرآن العظيم

[سورة الفرقان]

مستقاة من كتاب (تفسير القرآن الكريم)

للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

ط / دار ابن الجوزي

جمع واختيار
منى الشمري

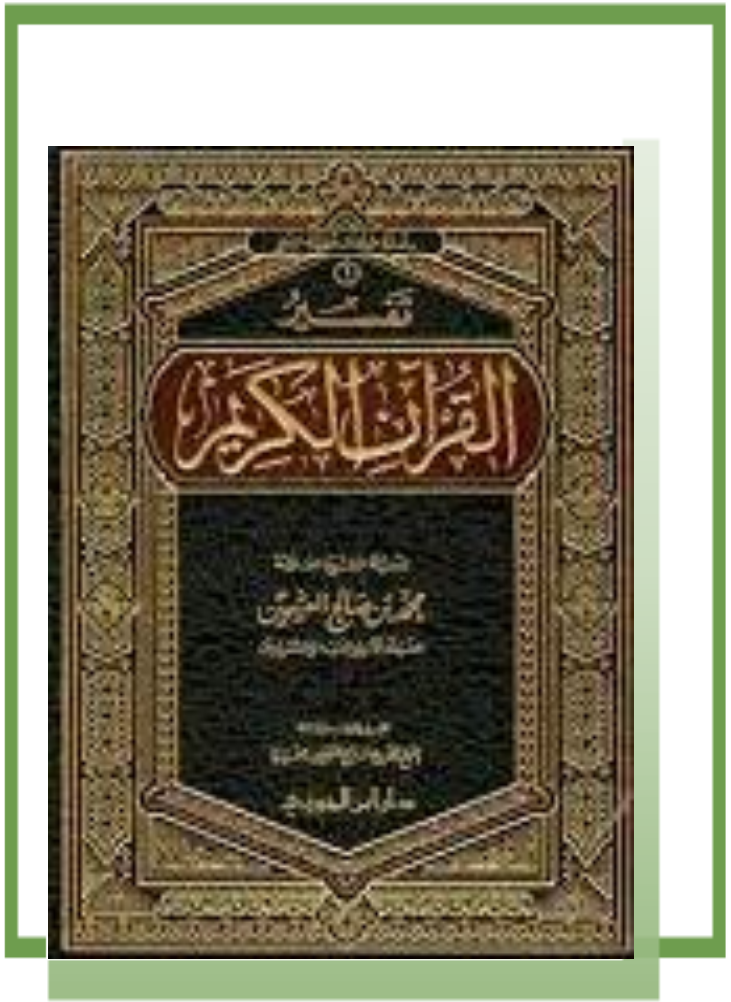

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} الفرقان :١

{الفرقان} هو القرآن، وصف بذلك لأنه يفرق بين الخير والشر،
وبين الحق والباطل، وبين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الخير وأهل الشر،
فهو فرقان في كل شيء،
وكما أنه فرقان بذاته يفرق فإن من كان من أهله ولازمه وعمل به أوتي هذه الصفة،
وصار له تفريق بين الحق والباطل، لقول اللّه عز وجل:
{يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا اللّه يجعل لكم فرقانا} [الأنفال: ٢٩].

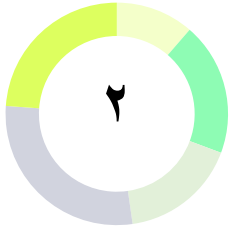

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} الفرقان :١

عموم رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لقوله: {ليكون للعالمين}.

وأما من قال: إنه رسول إلى العرب فقط فإنه كافر به،

فالذين قالوا: إنه رسول إلى العرب قالوا: إن الله تعالى يقول: {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم} [الجمعة: ٢]، هذا يقتضي أنه رسول للعرب فقط، وأما بنو إسرائيل فلا يكلفون باتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

فما هو الجواب عن هذه الشبهة؟

الجواب: أن قوله: {في الأميين} لو كان المراد منه تخصيصهم لقال: هو الذي بعث للأميين، كما في قوله عز وجل: {وأرسلناك للناس رسولا} [النساء: ٧٩]، لكن قوله: {في الأميين} معناه أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- مبعوث فيهم، بعث فيهم، لا لهم، بعث فيهم لهم ولغيرهم، وعندما أقول مثلا: بعث فلان في هذا البلد، أو مثلا: خلق الله في هذا البلد رجلا كريما أو رجلا عالما، أو ما أشبه ذلك، فإن هذا لا يعني أنه لهذه البلد فقط، بل المراد: مكانه في البلد، لكن ما يحصل منه عام، فالتخصيص بالمكان أو التخصيص بالزمان لا يدل على تخصيص الدعوة

فوائد مستنبطة من تفسير سورة الفرقان

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} الفرقان :١

فضل الرسول عليه الصلاة والسلام
حيث كلف الرسالة إلى جميع الخلق،
لأن هذا دليل على فضله
وأنه أهل لهذه المهمة العظيمة

{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} الفرقان :٥

يجوز أن يكتب القرآن بحسب القواعد العصرية،
والذي نراه أيضا: أنه لا يجوز أن يكتب بالرسم العثماني للجاهل،
فالإنسان الجاهل لا يجوز أن نكتب له بالرسم العثماني،
والسبب أنه لو قرأه على حسب الرسم العثماني وهو لم يعلم إياه في التلاوة سوف يحرف القرآن

{انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} الفرقان :٩

إن الإنسان إذا فتح على نفسه باب الشبهات والتساؤلات فإنه يضل،
وانظر إلى إرشاد النبي -صلى الله عليه وسلم- الرجل حينما يتساءل الناس: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقولوا: من خلق الله؟ فأمر النبي عليه الصلاة والسلام الإنسان إذا وصل إلى هذا الحد أن يستعيذ بالله ولينته،
وأرشده إلى أن يقرأ {الله أحد (١) الله الصمد (٢) لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفوا أحد}
وفي حديث آخر: {هو الأول والآخر والظاهر والباطن}
فهذه الأشياء التي ترد على القلب إذا استرسل الإنسان معها فسوف تكون سببا لضلاله

{تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا} الفرقان: ١٠

عناية اللّٰه سبحانه وتعالى بالرسول -صلى اللّٰه عليه وسلم- في الدفاع عنه،
وعناية اللّٰه بالرسول في الدفاع عنه ليست عناية به وحده، بل حتى بالأمة؛
لأن ذلك يزيل الشبه التي يحتج بها المبطلون،
وإزالة الشبه عن الأمة هذا من رحمة اللّٰه تعالى بهم.

{بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا} الفرقان :١١

التكذيب بالساعة يشمل التكذيب بوقوعها رأسا ، بأن يقول: لا بعث،
أو التكذيب بما يقع فيها من الأمور؛ كالحساب والكتب والصراط والحوض والشفاعة وما أشبه ذلك؛
لأن الإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بوقوعه وبما يقع فيه،
فإذا كذب به الإنسان رأسا فقد كذب به،
وإذا صدق به ولكن كذب بما يقع فيه فهو أيضا مكذب له.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة الفرقان

{وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا} الفرقان :٢٥

استدل شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم بهذه الآية على نزول الله سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده.
ووجه الدلالة من الآية في الحقيقة ليس في لفظ الآية ما يدل عليه،
لكن الآية مفسرة بالحديث أنها تشقق بالغمام لنزول الله سبحانه وتعالى، فهي لا يتم الاستدلال بها بمجرد لفظها،
إلا بالإضافة إلى ما صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك في تفسير الآية؛
أنها تشقق بالغمام لنزول الله تبارك وتعالى للفصل بين عباده

المرجع/ كتاب تفسير القرآن الكريم - محمد بن صالح العثيمين ط/ دار ابن الجوزي — تفسير سورة الفرقان ص ٨٥

{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا} الفرقان :٢٦

تبشير للناس عموما في قوله عز وجل: {الرحمن}،
حيث يشير إلى أنه عز وجل يظهر من رحمته في ذلك اليوم
ومن ملكه ما لا يظهر في غيره

{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} الفرقان :٢٧-٢٨

يجب على المرء أن يختار لنفسه الأصحاب: أهل العلم والدين،
ويؤخذ من قوله: {ويوم يعض الظالم على يديه}
إلى قوله: {يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا}.

{يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} الفرقان :٢٨

قوله سبحانه وتعالى: {لم أتخذ فلانا خليلا} الخليل هو الحبيب الذي بلغت محبته الغاية؛
لأن الخلة أعلى أنواع المحبة،
وسميت بذلك لأن المحبة تخللت مسالك البدن
وعلى هذا فالخلة أعلى من المحبة، وبه نعرف خطأ من قال: محمد حبيب الله، وإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله؛ لأن هؤلاء نزلوا مرتبة النبي عليه الصلاة والسلام حيث وصفوه بأنه حبيب الله وإبراهيم خليل الله؛
فإن الخلة أعلى، والنبي -صلى الله عليه وسلم- خليل الله كما أن إبراهيم خليل الله، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الله تعالى قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا"
وأما كون موسى كليم الله فنقول أيضا: محمد كليم الله،
وإذا كان موسى كليم الله في الأرض فإن محمدا -صلى الله عليه وسلم- كليم الله في السماء

{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} الفرقان: ٣٠

لو قال قائل: هل عدم تدبر القرآن يكون هجرا له؟

هجر التدبر قد يكون هجرا؛ لأن التلاوة بدون تدبر لا شك أنها تلاوة ناقصة؛ لأن اللّٰه تعالى أمر بتدبره، وأخبر أنه ما أنزل إلا للتدبر والتذكر {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب} [ص: ٢٩]، والتدبر معناه أن الإنسان يتأمل معناه ويفكر فيه، ويسعى في الوصول إليه، وإذا كان قاصرا عن فهم المعنى يسأل، وإذا كان يمكن أن يراجع هو بنفسه كتب التفاسير فليراجع.

{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} الفرقان: ٣٠

عظم هذا القرآن؛ لقوله تعالى: {هذا القرآن}، لأن الإشارة تفيد التعظيم،
يعني هذا القرآن العظيم الذي لا ينبغي أن يهجر هؤلاء اتخذوه مهجورا،
فقوله: اتخذوه مهجورا أبلغ من: هجروه، كيف ذلك؟ اتخذوه مهجورا يعني جعلوه من الأمور التي تستحق أن تهجر،
فاتخذوه أمرا مهجورا يعني مرغوبا عنه ومتروكا هو في حد ذاته،
على زعمهم

{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} الفرقان :٣١

ابتلاء اللّٰه سبحانه وتعالى للمؤمن؛ فإنه إذا كان الإيمان قويا فإنه يصمد أمام هذه الشبهات، وأمام هذه العداوة، وإذا كان ضعيفا فإنه يتأثر، فهذا من حكمة اللّٰه سبحانه وتعالى أن اللّٰه يقيض للإنسان ما يكون سببا للحيلولة بينه وبين دعوته ليبلوه، قال سبحانه وتعالى: {ومن الناس من يعبد اللّٰه على حرف فإن أصابه خير اطمأن به} يعني اطمئن بحاله التي هو عليها،
{وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين} [الحج: ١١]،
وإن أصابته فتنة وأمر يشغله انقلب على وجهه.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} الفرقان :٣٢

من الحكمة في إنزال القرآن تثبيت قلب الرسول -صلى الله عليه وسلم-
سواء كان ذلك تثبيتا في تقرير الرسالة
أو تثبيتا في رد الشبه التي تعرض عليه.

{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} الفرقان :٣٣

كل ذي باطل نجد جواب باطله من القرآن، أو نقول ما هو أعم: نجد بيان باطله من الوحي المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-، نأخذه من قوله: {ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا} [الفرقان: ٣٣]،

فما من شبهة إلى يومنا هذا ترد إلا وفي كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ما يدحضها،

ولكن كما هو معروف ليس كل أحد يدرك ذلك، فالسيف في يد إنسان لا يغني شيئا ولا ينفعه، كالعصا أو أقل،

وفي يد إنسان هو سيف بتار يضرب به ويقتل به،

هكذا أيضا الوحي المنزل على الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليس كل أحد يعلمه،

ولا كل أحد يستطيع إقامة الحجة منه، ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء

{الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا} الفرقان :٣٤

إذا قيل: ما وجه العقوبة بحشرهم على وجوههم؟

فالجواب: إهانة لهم؛ لأن الوجه أشرف الأعضاء، فإذا جعل هو محل الوطء فهذا إهانة، لكن ما هي الحكمة من ذلك؟ لا شك أنه فيه إهانة وعذاب؛ لأنهم قلبوا الحقائق فقلبوا، وأيضا لما كانوا ينطقون بألسنتهم، وهي في وجوههم، صار العذاب عليها، كل هذه وجوه محتملة، وعندي زيادة احتمال أن الإنسان يقبل على الشيء بوجهه ويعرض عنه بوجهه، فلما كان الوجه محل الإعراض والإقبال، وهم قد أعرضوا، صار العذاب عليها.

{وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا} الفرقان :٣٨

هؤلاء القرون العظيمة الكثيرة كلها أهلكها الله عز وجل بتكذيبها لرسلهم،
أفلا يكون قادرا على أن يهلك المكذبين للرسول؟ بلى، هو قادر عليه،
وهذا هو الذي حصل، لكن الله تعالى جعل إهلاك أعداء الرسول -صلى الله عليه وسلم- على يد الرسول
{قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم} [التوبة: ١٤ - ١٥].
فهذه المصالح العظيمة لو أهلكت قريش بعذاب من عند الله لم تحصل،
ولهذا إذا هلك عدوك على يدك كان أشفى لك وأشد سرورا وفرحا أن الله يهلكه على يدك،
أما إذا هلك بعذاب من الله فهذا لا شك أن الله كفاك شره ولكن كونه على يدك أبلغ وأشد فرحا وسرورا

{وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا} الفرقان :٤٠

المطر نوعان؛ مطر سوء، يعني: عذاب، يسوء الممطرين، ومطر رحمة يسرهم،
فالغيث الذي ينزل من السماء بالماء هذا مطر رحمة،
وإذا كان يضر صار مطر سوء، وقرية قوم لوط أمطرت بمطر سوء،
والمطر الذي أمطرت به حجارة من سجيل -والعياذ بالله- مسومة عند الله معلمة للمسرفين
الذين جاوزوا حدهم، وهذا المطر -والعياذ بالله- جعل عاليها سافلها

{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} الفرقان :٤٤

فالعقل هنا ليس العقل الذي هو الذكاء، وهو إدراك الأمور،
فإنهم يعقلون بهذا المعنى، لكن المراد العقل الذي يمنع صاحبه ويعقله من التصرف بما لا يليق،
هذا العقل الحقيقي، وليس العقل أن يدرك الإنسان المعقول،
فإن العقل الذي معناه أن يدرك المعقول هو مناط التكليف، وليس مناط المدح أو الذم

{أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا} الفرقان :٤٥

ينبغي للإنسان ألا يجعل النعم أمورا عادية لا بد منها، بل يقدرها بضدها؛ لقوله: {ولو شاء لجعله ساكنا}، فإذا قال الإنسان مثلا: طلوع الشمس على هذه الأرض وغروبها عنها أمر معتاد، نقول: نعم، هو أمر معتاد، من أجل كونه معتادا لا يحس الإنسان بأنه نعمة، لكن قدر هذا الشيء بضده {ولو شاء لجعله ساكنا}،

إن خروج النفس من جسم الإنسان أمر معتاد، ولهذا لا يحس الإنسان بقدر هذه النعمة، لكن قدر أن الله لو شاء الله لحبسه، وحينئذ يتبين قدر النعمة. وقوله: {ولو شاء لجعله ساكنا}

ينبغي أن يجعل هذا قاعدة لنا في كل النعم المعتادة التي نحن عشنا عليها واعتدناها؛ فإننا لا نشك بكونها نعما، لكن علينا أن نقدر ضدها حتى نعرف بذلك قدر نعمة الله عز وجل بهذه النعم المعتادة.

{وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا } الفرقان :٤٨

قدرة الله عز وجل في إرسال الرياح؛ لأن هذه الرياح لو اجتمع الخلق كلهم بالتأكيد
على أن يأتوا بواحدة منها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا،
مع أن هذه الرياح في بعض الأحيان تقتلع الأشجار وتدمر المنازل،
هذه القوة العظيمة لو أتيت بمولدات الدنيا كلها لتخلق مثل هذا الهواء ما حصل هذا.

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} الفرقان :٥٠

بلوغ الغاية في الكفر من بعض الناس؛ لأنه إذا كان الله تعالى يريهم آية ليتذكروا بها ،
فلا يزدادون إلا كفورا ، فهذا -والعياذ بالله- في غاية ما يكون من الكفر؛
لأن الإنسان إذا لم تحصل له الآيات فقد يعذر بكفره،
لكن إذا حصلت الآيات ولم ينتفع صار أشد.

{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا } الفرقان :٥٩

إثبات خلق السموات والأرض، وأنها كانت معدومة، فيكون في هذا رد لقول الفلاسفة القائلين بقدم الأفلاك؛
لأن ما كان مخلوقا فإنه ليس بقديم، والمراد بقولنا: ليس بقديم بالمعنى المصطلح عليه عند الفلاسفة؛
أن القديم هو الأزلي، لا أن المراد القدم اللغوي؛ لأن القديم في اللغة هو الشيء المتقدم، وإن كان حادثا،
كما قال الله سبحانه وتعالى: {عاد كالعرجون القديم} [يس: ٣٩]،
لكن في اصطلاح الفلاسفة إذا قالوا: قديم، فمعناه أزلي، ليس بحادث.
نقول: هذه الآية ترد عليهم؛ لأن الله يقول: {خلق السماوات والأرض في ستة أيام}.

{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا } الفرقان :٥٩

كمال قدرة اللّه سبحانه وتعالى؛ لأن هذه السموات والأرض وما بينهما أمور عظيمة،
لا يستطيع الخلق أن يخلقوها أبدا،
لا في ستة أيام ولا في ستين قرنا، الذين صنعوا الأقمار الصناعية أول ما أخرجوها نعلم ماذا حصل من الضجة العظيمة،
والتعظيم العظيم لهولاء الذين صنعوها، مع أنها ليست بشيء بالنسبة لأقرب نجم في السماء،
لا بذاته ولا بالحجم، ولا بالكيفية، ولا بالقوة، ولا بالانتظام،
فإنها تزول في آخر الأمر ويختلف نظامها وتتلف.

{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا } الفرقان :٥٩

استواء اللّٰه على عرشه؛ لقوله: {ثم استوى على العرش}،
وأن الاستواء من الصفات الفعلية، ليس من الصفات الذاتية؛ لأنه مرتب بعد خلق السموات، يعني حادثا،
وهل الاستواء قبل خلق السموات والأرض ثابت أو ليس بثابت؟
نقول: الاستواء على العرش قبل الخلق لا نتكلم فيه، اللّٰه أعلم به،
لكن الاستواء على العرش حين الخلق ليس بموجود؛
لأن ذلك ينافي قوله: {ثم استوى}،
أما قبل الخلق فالواجب السكوت عنه؛
لأن ذلك ليس بوسعنا، واللّٰه تعالى لم يخبر عن نفسه به.

{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا } الفرقان :٥٩

أنه لا تطلب معرفة اللّه إلا من اللّه: من الخبير به، وهو اللّه سبحانه وتعالى؛ لقوله: {فاسأل به خبيرا}،
وأن هذه الآية تشهد لما عليه أهل السنة والجماعة من أن أسماء اللّه وصفاته توقيفية،
لا يجوز لأحد أن يثبت منها إلا ما أثبته اللّه ورسوله، يعني أن وصف اللّه تعالى لا يكون إلا بحسب ما علمناه منه،
فلا يمكن أن نصف اللّه تعالى بما لم يصف به نفسه، ولهذا قال العلماء: إن أسماء اللّه وصفاته توقيفية،
هذا هو القول الصحيح الراجح، وإنه ليس لنا أن نصف اللّه تعالى بما لم يصف به نفسه؛
لأن ذلك ينافي كمال الأدب معه، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي اللّه ورسوله} [الحجرات: ١]،
وكما أنه ليس لنا أن نحدث في شرعه شيئا فليس لنا أن نصفه بشيء لم يصف به نفسه، وللّه المثل الأعلى.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا} الفرقان :٦٠

عدم استجابة المدعوين للداعي لا يدل على فساد قصده أو عمله،
ولا يدل أيضا على تقصيره، يعني إذا دعا الإنسان ولكنه لم ينجح،
فلا يجوز لنا أن نتهمه ونقول: هذا لو كانت نيته صالحة لانتفع الناس به.
إذن هذه فائدة عظيمة؛ لأنه ربما يكون من بعض الناس اعتراض على الداعي،
يقول: هذا الداعي نيته باطلة، لو أن نيته صحيحة ما نفر الناس منه.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا} الفرقان :٦٠

أن السجود من أسباب الرحمة، ولهذا قال: {اسجدوا للرحمن}،
سواء السجود العام أو السجود الخاص، فإنه من أسباب الرحمة،
ولهذا لم يقل: اسجدوا لله، بل قال: {اسجدوا للرحمن}
يعني لتصلوا إلى رحمة هذا المسجود له.

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} الفرقان :٦٢

ومن آياته ونعمه أنه جعل الليل والنهار خلفة، يعني يخلف بعضهما الآخر،
هذه الخلفة فيها فائدة عظيمة جدا ، بل فائدتان عظيمتان:

أولا: التذكر والاتعاظ.

ثانيا: شكر النعمة.

{وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} الفرقان :٦٣

{وعباد الرحمن} عباد جمع عبد ، وأضافهم إلى الرحمن ولم يقل: عباد اللّه ، أو عباد الرب ،
وما أشبه ذلك إشارة إلى أن هذه العبودية التي اتصفوا بها من آثار رحمة اللّه ،
وأن اللّه تعالى رحمهم حتى صاروا عبادا له. وفي الإضافة أيضا معنى آخر {وعباد الرحمن}
أي أنهم عباد يتعبدون للّه لرجاء رحمته ،
وبرحمته أيضا عبدوه ، لا يتعبدون رياء ولا سمعة ، فهذا وجه الإضافة من الناحيتين؛
من ناحية أن عبادتهم للّه كانت من مقتضيات رحمته ،
ومن ناحية أخرى أنهم يرجون بهذه العبادة رحمة ربهم ، لا يرجون بذلك دنيا ولا دفع مذمة عنهم ،
وإنما يرجون بهذا رحمة اللّه.

{وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} الفرقان :٦٣

{قالوا سلاما}، أي: قولا يسلمون فيه من الإثم

ومن التطاول في الأذية؛ لأن الرجل إذا قابل الجاهل بمثل قوله فالجاهل لا حدود له، لا يحده شرع ولا عقل، إذا قال كلمة أتاه بكلمتين، أو بعشرة، لكنه إذا كان عاقلا مؤمنا متزنا فإنه يقول قولا يسلم فيه من الإثم ومن الأذية، وهذا القول يحفظ للإنسان كرامته؛ لأنه لم يقل: إنهم يسكتون، بل قال: قالوا قولا، فلا بد من قول لكنه قول يسلمون به من أذية هذا الجاهل ومن إثمه، ومن النزاع والخصومة، وينتصرون لأنفسهم، فلا يحسبهم الجاهل جبناء ولا يحسبهم متصفين بما يقول إذا سكتوا؛ لأنهم إذا سكتوا مع القدرة على الإنكار فإنه يدل على أنهم راضون بما وصفوا به، ولا بد من مقابلتهم، ولكن كما قال الله تعالى بقول يسلم فيه الإنسان من الإثم فيما بينه وبين الله، ومن اللجاج والخصومة فيما بينه وبين هؤلاء الجاهلين

{وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} الفرقان :٦٤

{يبيتون لربهم} قد يقول قائل: إن ظاهر الآية الكريمة أنهم يسهرون الليل؛ لأنه ذكر أن وصفهم في حال البيات القيام والسجود، فهل معنى ذلك مشروعية قيام الليل كله؟

نقول: إذا أخذنا بظاهر الآية فهو كذلك، ولكن ما جاءت به السنة يدل على خلاف هذا، وأن أفضل ما يكون أن ينام الإنسان نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه كما كان ذلك صلاة داود عليه الصلاة والسلام، وصلاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فإنه كان ينام سحرا ويقوم في جوف الليل -صلى الله عليه وسلم-، فيكون على هذا معناه أنهم يبيتون غالب ليلهم، أو أن الله يكتب لهم أجر الصلاة والقيام، وإن كانوا بائتين، ما داموا على هذه النية، وعلى هذا الفعل، ما داموا يفعلون وينوون أنهم إذا ناموا إنما ينامون ليتقووا على القيام، فيكتب لهم أجره وإن كانوا نائمين

{وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا} الفرقان :٦٧

إنما قال: {قواما} يعني مستقيما لأنه قد يميل إلى الإسراف وقد يميل إلى الإقتار بحسب الحال،
يعني ما بين الإسراف والإقتار منزلة، لكن قد يكون الأمر يقتضي أن يميل إلى الإسراف،
وقد يكون الأمر يقتضي أن يميل إلى الإقتار، ولهذا قال: {قواما}،
فلم يقل: {وكان بين ذلك} وسكت، بل قال: {قواما}؛ يعني مستقيما،
إن كان الأمر يتطلب أن يزيدوا قليلا على الوسط زادوا، وإن كان الأمر يتطلب أن ينقصوا نقصوا

{وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} الفرقان :٦٧

الزور كل ميل قولي أو فعلي إن كان قولا وصف بالكذب،
وإن كان فعلا وصف بالباطل، فكل قول أو فعل مائل عن الطريق فإنه زور،
فالكذب زور، والشتم واللعن والغيبة زور أيضا، والغصب والسرقة والزنا وغير ذلك زور أيضا،
لكن قد نسميه باطلا إذا كان فعلا.

{وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} الفرقان :٦٧

معنى مر الكرام هنا أي أنهم لا يلحقهم منه شيء، بل يحاولون الإصلاح؛ لأن الكريم يعطي غيره،
ينفع نفسه وغيره، فهم إذا مروا باللغو يمرون كراما، يحاولون أن يفيدوا من وجودهم،
وذلك بأن ينقلوا هذا اللغو إلى أمر مفيد، ولهذا قال: {مروا كراما}،
لم يقل: {قالوا سلاما}؛ لأن هناك يخاطبون بما يسيء إليهم،
فيقولون قولا يسلمون به؛ لأن المقام يقتضي أن تسلم فقط،
لكن هنا لا يؤذون إنما يمرون بلغو لا فائدة منه،
فيمرون كراما مفيدين ومستفيدين.

{وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا} الفرقان :٧٣

عندنا عمومان في التذكير بالآيات:

العموم الأول: أنها تشمل الآيات الكونية والشرعية.

العموم الثاني: أنها تشمل القرآن وغير القرآن من الكتب السابقة؛ لأن المراد بقوله:
{وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض}
ليس خاصا بعباد الرحمن من هذه الأمة،
بل هو عام لكل عباد الرحمن من كل أمة.

{خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} الفرقان :٧٦

المستقر الشيء الثابت، والمقام الذي يقيم فيه الإنسان،
سواء استقر أم لم يستقر. فإن قيل: لا حاجة إلى قوله: (ومقاما)؛
لأن الجنة أو النار مستقر دائم {وإن الآخرة هي دار القرار} [غافر: ٣٩]؟
نقول: المستقر باعتبار المكان،
والمقام باعتبار ما يحصل لهم من النعيم والسرور والتحية، وغير ذلك

{قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} الفرقان :٧٧

أن الدعاء مانع من العقوبة،
كما أن في الدعاء أيضا جالبا للمصالح "
وإن الدعاء والبلاء ليعتلجان إلى يوم القيامة"
فيمنع أحدهما الآخر.

{قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} الفرقان :٧٧

إثبات الأسباب، لقوله: {لولا دعاؤكم}،
وإثبات الموانع أيضا؛ لقوله: {لولا دعاؤكم}،
ففيها إثبات الموانع لما انعقد سببه، وإثبات الأسباب لما لم يوجد حتى يكون،
وإثبات الموانع أيضا موجود بكثرة، الرسول -صلى الله عليه وسلم- أمر عند الكسوف بالصلاة والدعاء والاستغفار
وهذا مانع للعذاب الذي انعقد سببه ووجد الإنذار به، فيمنع هذا العذاب

انتهى بحمد اللّٰه وفضله جمع بعض الفوائد
من تفسير سورة
(الفرقان)

نسأل اللّٰه تعالى أن يجعلها
نافعة لعباده مقربة لمرضاته
إنه وليّ ذلك والقادر عليه

تويتر
@fwayidd1